

السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا في عهد ماكرون: بين الاستمرارية و التغيير

French policy towards Africa in the Macron era
between continuity and change

صويلح مولود

جامعة جيجل - الجزائر

msouilah2002@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2021/06/08

تاريخ القبول: 2021 /05/ 31

تاريخ الارسال: 2021 /05/ 19

ملخص: يناقش المقال الترويج الفرنسي لسياسة القطيعة الماكرونية في العلاقات الفرنسية-الأفريقية مع السياسة التي حكمت و وجهت هذه العلاقات منذ فترة تصفية الكولونيالية. الفكرة المحورية للمقال هي عرض محاولات القطيعة هاته من خلال الإشارة إلى مختلف المستويات التي تمفصلت حولها هذه السياسة. ثم اختبار مظاهر الاستمرارية و التغيير في هذه العلاقات. من أجل ذلك، تم اعتماد إشكالية تتمحور حول المستويات التي تتمظهر من خلالها سياسة القطيعة الماكرونية. اعتمدت الدراسة مقارنة استقرائية لحال العلاقات الفرنسية-الأفريقية منذ وصل ماكرون إلى قصر الإليزيه. توصلت الدراسة إلى أنه و بالرغم من قوة الإشارات الرمزية و الحملة الترويجية التي صاحبت إطلاق فكرة القطيعة مع هذه السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا، إلا أن مظاهر الاستمرارية تتفوق و تتغلب بقوة على مظاهر التغيير و القطيعة.

كلمات مفتاحية: العلاقات الفرانكو-أفريقية، الاستمرارية، ماكرون، القطيعة، خطاب واغادوغو

Abstract: The article discusses the French promotion of the Macronian estrangement policy in Franco-African relations with the policy that has governed and guided these relations since the period of decolonisation. The central idea of the article is to present these breakthrough attempts with reference to the different levels that articulate this policy. Then test aspects of continuity and change in these relationships. To this end, the problem is centered around the levels through which the Macronian rupture manifests itself. The study adopted an inductive approach to the state of Franco-African relations since Macron's arrival at the Elysee Palace. The study found that despite the strength of the symbolic signals and the promotional campaign that accompanied the launch of the idea of rupture with this French policy towards Africa, the manifestations of continuity outweigh and strongly overcome the manifestations of change and estrangement.

Keywords: Franco-African Relations; Continuity; Macron; rupture; Speech of Ouagadougou.

مقدمة:

تأخذ صياغة السياسة الخارجية، بالضرورة، منعرجا جديدا مع وصول رئيس و فريق دبلوماسي جديدين للسلطة. عند ذلك تطرح مسألة الرسالة الواجب بعثها، و الوسائل الواجب اعتمادها، و القطيعة التي يقع إحداثها و الاستمراريات التي يجب الحفاظ عليها¹. " لم تعد هناك سياسة أفريقية². هذه العبارة أطلقها الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بتاريخ 29 نوفمبر 2017 أمام الطلبة بجامعة واغادوغو، و ذلك بمناسبة جولته الأفريقية الأولى. كانت الخلفية من وراء إطلاق مثل هذه العبارة هو التعبير صراحة عن عزم الرئيس الجديد في إحداث قطيعة مع السياسة الفرنسية اتجاه أفريقيا منذ فجر تصفية الكولونالية، و التي تُعرف في إطار الدراسات المتخصصة بـ³ La Françafrique .

فالخروج من الأبوية، وضع شراكة إستراتيجية جديدة، الاعتماد على دور الدياسبورا [...] كلها عناصر يريد من خلالها ماكرون وضع القواعد لعلاقة جديدة مع أفريقيا. في مختلف خطاباته [...]، يرسم ماكرون ملامح ما يمكن أن يكون البراديجم الجديد للعلاقات بين القوة الكولونالية السابقة و القارة الأفريقية. بتاريخ 27 أوت 2019، و خلال مؤتمر السفراء في الإليزيه، أصرّ ماكرون على حقيقة أنه " يجب تصوّر الإستراتيجيات الفرنسية مع شركائنا الأفارقة " و أن يتم حملها " معهم و من أجلهم "⁴.

هنا يمكن التساؤل حقيقة: هل نحن فعلا أمام تحوّل حقيقي و عميق للسياسة الفرنسية تجاه أفريقيا، بشكل يجعل من عديد الانتقادات التي قُدّمت لها من الماضي؟. فقد أشار الباحث البريطاني غوردن كومينغ⁵ Gordon D. Cumming أنه إذا كانت باريس قد اختارت طريق الإصلاحات منذ الآن، فإن سياستها ستكون عمليا متناقضة بسبب حقيقة أن " المحاورين الفرانكفونيين الأفارقة لفرنسا لم يتغيروا ". هذه الفكرة سبق و أن عبّر عنها ريتشارد مونكرياف Richard Moncrieff أحد المختصين الإنجليز في السياسة الفرنسية في أفريقيا، و ذلك في جانفي 2012. كما أنها أحد الأفكار المحورية في الكتاب الأخير للصحفي أنطوان غلاسر⁶ Antoine Glaser حول العلاقات بين فرنسا و أفريقيا. غير أنه يذهب أبعد من الاثنين اللذان سبقت الإشارة إليهما من خلال تحليله لانقلاب و تحوّل حقيقي في اللعبة، أين أصبحت السياسة الأفريقية لفرنسا تتحدّد أكثر فأكثر من طرف شركائنا الأفارقة أكثر من فرنسا نفسها⁷.

من أجل تحليل سياسة القطيعة الماكرونية في العلاقات الفرنسية-الأفريقية، تم اعتماد الإشكالية الرئيسية الآتية: ما هو مضمون سياسة القطيعة الماكرونية و مستوياتها، و قدرتها على إحداث تحوّل حقيقي في المسار الفرنسي-الأفريقي الذي دام لأكثر من ستين سنة؟. بهدف الإجابة على الإشكالية سنحاول استقراء واقع العلاقات الفرنسية-الأفريقية منذ وصول ماكرون إلى الرئاسة في فرنسا، و على ضوء ذلك سيتم تقديم عرض وافي لمظاهر الاستمرارية و التغيّر في السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا.

1. التصور العام لسياسة القطيعة الماكرونية في العلاقات الفرانكو-أفريقية

حظيت سياسة القطيعة الماكرونية في العلاقات الفرانكو-أفريقية بحشد و ترويج إعلاميين قويين على المستويات الرسمية و غير الرسمية، حيث انخرط الكثير من الفاعلين في هذه الحملة الترويجية لإقناع الفرنسيين و الأفريقيين بفكرة القطيعة التي يحملها ماكرون، و حاجة الطرفين لهذه القطيعة. لكن قبل الخوض في مختلف المضامين التي حاول ماكرون إعطائها لهذه القطيعة، و المفاهيم و المبادرات التي تمفصلت من خلالها، يجب الإشارة إلى التصور العام لهذه القطيعة الماكرونية.

فيهدف تجسيد الإرادة الرئاسية الجديدة في إعادة تأسيس العلاقات الفرنسية-الأفريقية على قاعدة القطيعة، و إعطائها مضامين جديدة، عبّر الرئيس ماكرون عن رغبته في إشراك النخب الفرانكو-أفريقية، و إعطائها دورا محوريا في إطار تصوّره العام للعلاقة الجديدة مع القارة الأفريقية. من أجل ذلك، قام ماكرون في جويلية 2019 باستقبال 400 ممثل عن الدياسبورا الأفريقية في قصر الإليزيه، [...] بهدف البدء في حوار تحت شعار "لنتكلم عن أفريقيا". بالنسبة إلى جول-أرمان أنيامبوسو Jules-Armand Aniambossou، المنسق في المجلس الرئاسي لأفريقيا، "صُمّم هذا الاجتماع كرجع صدى لخطاب الرئيس في واغادوغو في عام 2017"، و هو قصيدة للشباب الأفريقي؛ "و كرجع صدى أيضا لتدخل ماكرون أمام السفراء بعد عام، حيث جعل أوروبا و أفريقيا أولوية [للدبلوماسية الفرنسية]. طموح هذه المبادرة هو التحدث إلى الفرنسيين حول إفريقيا، و جعل المغتربين أكثر ظهورا و بروزا على الساحة العامة"⁸. لكن و بشكل خاص، أن يجعل منهم سفراء للسياسة الفرنسية الجديدة تجاه أفريقيا. و قد لخصّ الوزير الفرنسي لأوروبا و الشؤون الخارجية جون-إيف لودريان مجمل هذه التوجّهات الفرنسية في قطاع السياسة الخارجية في خطاب ختام المؤتمر السنوي للسفراء و السفيرات بتاريخ 28 أوت 2019 كما يلي:

" يجب ترسيخ و تقوية أدوات دبلوماسية التأثير و النفوذ. [...] في مواجهة منافسة مُعمّمة، و التي تعمل على إعادة رسم عالمانا، و التي لم تعد تقتصر على الأبعاد السياسية و الإستراتيجية و الاقتصادية، يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ما أسمّيه الخصائص الجديدة للقوة [...]: معركة الثقافة، معركة الإعلام و معركة التنمية [...]. أتمنى بشكل خاص أن يتم تطوير إستراتيجية اتصالية طموحة تجاه أفريقيا، هدفها إعطاء قيمة أفضل لأفعالنا، و مقاومة أحسن للمعلومات الخاطئة في الوقت نفسه. ففي مواجهة حملات التشهير، يضيف، و في مواجهة معاداة هذه السردية الفرنسية لا يمكننا أن نبقي مكتوفي الأيدي."⁹

بالنسبة إلى ليونيل زينسو Lionel Zinsou، عضو الدائرة الأولى المحيطة بالرئيس ماكرون، فإن هذا الأخير يريد تغيير الرموز و رمي الكليشيهات من أجل عدم العيش أبدا مع ألبسة الكولونيالية الرثة و النيوكولونيالية أو معاداة الكولونيالية. يجب الكف عن التموّج في إطار علاقة هيمنة تجاه أفريقيا فهو أمر تم تجاوزه تماما". و يضيف

[...]، أن " ماكرون يضع أسس مختلفة كلية متجهة نحو الابتكار و تشغيل النساء. فهو يعتبر أن ما حدث في الماضي بثلاثين أو أربعين سنة قبل أن يولد لا يهّمه كثيرا". كما أشار جون-كلود فيليكس-تشيكايا Jean-Claude Félix-Tchicaya، الباحث في معهد الاستشراف و الأمن في أوروبا IPSE، أن ماكرون يجدد الرؤى، و نشعر أن خطابه في واغادوغو قد تطور، لكن يجب أن تكون الكلمات متبوعة بأفعال"¹⁰.

إذن، تتم فصل القطيعة التي يروّج لها ماكرون في سياسة فرنسا اتجاه أفريقيا حول ضرورة وضع أفريقيا و الأفريقيين في قلب هذه السياسة. لكن، هل نحن فعلا أمام تحوّل حقيقي و عميق للسياسة الفرنسية تجاه أفريقيا، بشكل يجعل من عديد الانتقادات التي قُدّمت لها من الماضي؟. سنحاول استقراء إرادة القطيعة هذه على عدة مستويات، بهدف رصد و تحديد قضايا الاستمرارية و التغيير في مسار السياسة الأفريقية لفرنسا.

2. المستوى البروتوكولي: جغرافية جديدة للسفريات الرئاسية

منذ تصفية الكولونيالية، شكّلت جغرافية السفريات الرئاسية، و الإجراءات البروتوكولية التي يقوم بها الرئيس الفرنسي غداة انتخابه أحد أهم المؤشرات على الخصائص و التوجّهات التي ستطبع العلاقة الفرنسية-الأفريقية في فترة حكم هذا الرئيس الجديد.

إن قرار وضع مسافة كافية بين الرئيس الجديد و الإجراءات البروتوكولية التي هيمنت منذ تصفية الكولونيالية، يمر أولاً و قبل كل شيء عبر تفكيك المنطق البروتوكولي و الجغرافي للسفريات الرئاسية إلى أفريقيا. فصد عادات الجمهورية الخامسة، لم يلتزم ماكرون ببرنامج زيارات رسمية مقسمة بشكل دقيق بين الدول الفرانكفونية جنوب الصحراء: [فزياراته] سنة 2019 [كانت] باتجاه إثيوبيا و كينيا و جنوب أفريقيا كذلك. بالفعل و خلال زيارته إلى إثيوبيا (12 مارس 2019) التي لم يزرها أي رئيس فرنسي منذ سنة 1973، [...] حرص على تقديم هدية ذات دلالة رمزية عالية لرئيس الوزراء أبي أحمد، و هي مجموعة من قصائد رامبو - الذي أنهى حياته في إثيوبيا - باللغة الفرنسية و الأمهرية. [...] و تم التوقيع بين الطرفين على اتفاقية دفاعية¹¹. بنفس الخلفيات توجّه ماكرون في زيارة إلى الدولة الجارة كينيا التي لم يزرها أي رئيس فرنسي منذ استقلالها، و حظي فيها باستقبال على درجة كبيرة من الفخامة من طرف نظيره الرئيس أوهورو كينياتا Uhuru Kenyatta [...] إجمالاً، كانت هناك إمكانية لإبرام ما يقارب مليارات من الأورو من العقود بين فرنسا و كينيا. [خلال هذه الزيارة] ناشد الرئيس ماكرون و رافع من أجل "روح المعاملة بالمثل" في المبادلات التجارية، و جعل نفسه بطل "الشراكات المتوازنة"، على عكس الصين، التي لا تتردد في تمويل استثماراتها بالديون المحلية.¹²

كما أن ذوقه للفعالية و السرعة قد قاده إلى القيام بزيارة عمل قصيرة إلى تونس ثم السنغال في فيفري 2018، واضعاً بذلك حداً للتقسيم القطاعي الذي يعتمده أغلب الرؤساء و المنظمات الدولية بين "شمال أفريقيا-الشرق الأوسط" و "أفريقيا-المحيط الهندي"¹³. فمن خلال النظر إلى أجندة الزيارات الأفريقية التي قام بها و يعتزم القيام بها، بدا واضحاً كيف أن الرئيس الفرنسي الجديد مُصمّم على التخلص من إلزامية إعطاء الأولوية للدول

الفرانكفونية في هذه الزيارات، و هو ما يبرزه خياره الخاص بعقد تجمع في قاعة حفلات بالعاصمة الاقتصادية النيجيرية لاغوس بتاريخ 3 جويلية 2018 للحديث عن العلاقات الثقافية مع أفريقيا. فمخاطبة أفريقيا ثقافيا، و من عاصمة أكبر دولة أنجلوفونية له دلالات واضحة في إرادة القطيعة التي يريدتها الرئيس ماكرون. فعلى خلاف الرؤساء الفرنسيين الذين سبقوه، حرص ماكرون على بعث رسالة واضحة، و هي أن السياسة الفرنسية الجديدة اتجهت أفريقيا، تمر حتما عبر انفتاح حقيقي و تواصل مباشر و كثيف مع كتلة الدول الأنجلوفونية في أفريقيا، و التي لم تكن تحظى باهتمام كاف من قبل سابقه من الرؤساء الفرنسيين.

3. المستوى الرمزي: ثلاثية الذاكرة-الثقافة-اللغة

لعل من أبرز و أقوى الإشارات التي بعث بها الرئيس ماكرون للترويج لسياسة القطيعة في السياسة الفرنسية اتجاه أفريقيا هي تلك التي تقع على المستوى الرمزي الذي تشكّله ثلاثية الذاكرة-الثقافة-اللغة. بالفعل، تبرز هذه الإرادة الرئاسية الحاملة لنظرة جديدة في مسألة الانحيات اللغوية و الثقافية على مستوى القارة الأفريقية، من خلال تصميمه على إعادة إدماج رواندا، التي أصبحت دولة أنجلوفونية و عضوا في الكومنولث، في فرانكفونية مؤسساتية كان هذا البلد الأفريقي أحد مؤسسيها. و قد تسبّب هذا الخيار في بروز جدل فرنسي-فرنسي¹⁴، و حتى أفريقي-فرنسي¹⁵، و خاصة بعد أن وقع الاختيار على وزيرة الخارجية¹⁶ الرواندية باعتبارها مرشحة الإليزية لمنصب الأمين العام للمنظمة الدولية للفرانكفونية OIF. و قد ذكّر الرئيس ماكرون برمزية هذا الخيار و ما يمكن أن يساهم به في التقارب الفرنسي-الرواندي بمناسبة زيارته التاريخية إلى رواندا نهاية شهر ماي 2021.

هذا الخيار الفرنسي المنحاز لصالح وزيرة الخارجية الرواندية، قد تم استباقه بتصريحات و مواقف على درجة عالية من الدلالات الرمزية. بالفعل، فقد اقترح الرئيس الفرنسي اعتماد يوم يُخلد مذبحه التوتسي بمناسبة إحياء الذكرى الخامسة و العشرون لهذا الحدث، و الذي أرسل بمبعوثه الخاص لحضور هذه الاحتفالات. و أعلن كذلك عن تشكيل لجنة من المؤرخين مهمتها تسليط الضوء على الدور المثير للجدل الذي لعبته باريس في هذه التراجيديا، و تهدئة العلاقة مع كيغالي. سيكون لهذه اللجنة القدرة على الاطلاع على كل الأرشيف الفرنسي المتعلق برواندا بين سنوات 1990-1994¹⁷. فاللقاء الذي جمع بين إيمانويل ماكرون و الرئيس الرواندي بول كاغامي، الاثنين 17 مايو 2021، في باريس، يعد خطوة كبيرة في العلاقات بين البلدين، و هو نتيج لعملية تاريخية ملتوية بدأت بعد الإبادة الجماعية عام 1994. فخلال زيارته هاته، سيلتقي بول كاغامي أيضا بضباط سابقين في الجيش الفرنسي، بما فيهم الجنرال جان فاريه Jean Varret، المسؤول عن مهمة التعاون من 1990 إلى 1993، و الذي عارض مسؤوليه المباشرين أثناء المأساة الرواندية¹⁸. يجب التذكير أن هذا الاجتماع مع إيمانويل ماكرون كان هو الأول منذ تقديم تقرير لجنة المؤرخين برئاسة فينسينت دوكلرت Vincent Duclert، في مارس / آذار، و التي كان هدفها تحليل دور فرنسا في رواندا من عام 1990 إلى

عام 1994. خلص التقرير إلى "مجموعة من المسؤوليات الكبيرة و الجسيمة" للدولة الفرنسية، و لكن من خلال استبعاد التواطؤ في الإبادة الجماعية، و هو ما جعل من الممكن اتخاذ خطوة نحو الحقيقة التاريخية، و بالتالي ساهم في التقارب الدبلوماسي. بعد ثلاثة أسابيع، توصل تقرير موسى، الذي سميّ على اسم مكتب محاماة أمريكي بتكليف من رواندا، إلى نفس الاستنتاجات¹⁹. أكثر من ذلك، و في كيغالي أثناء زيارته لرواندا (27 ماي 2021)، عبّر إيمانويل ماكرون عن أمله في الحصول على "هدية" الصفح من الناجين من الإبادة الجماعية؛ و أشار، نيابة عن فرنسا التي ترأسها آنذاك فرانسوا ميتران، إلى "مسؤولية مُهينة في دوامة انتهت بالأسوأ"، و لكن من دون أن يعتذر أو يتحدث عن الذنب أو التواطؤ مع نظام الإبادة الجماعية في ربيع 1994²⁰.

فالحسابات المصلحية التي تقف وراء هكذا قرارات تبدو واضحة للعيان. من الواضح جدا أن الرئيس ماكرون يعتقد بقوة التأثير الإيجابي لهذا الدعم لترشيح وزيرة رواندية؛ و في الاعتراف بمسؤولية الدولة الفرنسية في المذبحة الرواندية؛ و في القيام بإشارات رمزية ذاكراتية قوية في معالجة التأثيرات الذاكراتية السلبية جدًا للسلوك الفرنسي المتواطئ مع الهوتو، و الذي تسبّب في حدوث المذبحة الرواندية سنة 1994، و ما تلا ذلك من تشنّج و توتر على مستوى العلاقات الفرنسية-الرواندية التي أثّرت بدورها سلبا في محورية و مركزية الدور الفرنسي في البحيرات الكبرى بشكل عام. بالنسبة لإيمانويل ماكرون، الذي يحاول فرض صورة على الرأي العام يظهر من خلالها أنه مُصَفِّ للأشباح²¹ التي تسكن روح العلاقات الفرنسية-الأفريقية، فإن إعادة رواندا إلى مجال الفرانكفونية [...] يعتبر مقامرة. إنه عمل محزن بالنسبة لأولئك الذين يعتبرون أن "فرنسا تتبطح أمام أولئك الذين يهينون ماضيها"، و لكن أيضًا انفتاح على العلاقة التي يمكن أن تتسجها القوة الكولونيالية السابقة مع الدول الأفريقية²².

نموذج آخر عن التوظيف السياسي للذاكرة في مجال السياسة الخارجية، هو الانفتاح الذاكراتي الذي يقوم به الرئيس ماكرون في الحالة الجزائرية. فبعد أن صرّح خلال حملته الانتخابية للرئاسة معتبرا أن "الكولونيالية هي جريمة ضد الإنسانية"، أتبع ذلك عقب توليه السلطة بأفعال عالية الرمزية، و لو اعتبرها البعض أنها تراجع عن موقفه السابق. فقد عهد الرئيس الفرنسي رسمياً إلى بنيامين ستورا بمهمة حول "ذاكرة الكولونيالية و الحرب الجزائرية"، بهدف تعزيز "المصالحة بين الشعبين الفرنسي و الجزائري"²³. قبل ذلك، كان الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون قد فتح في 13 سبتمبر 2018 صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الفرنسية الجزائرية²⁴، من خلال توجّهه بطلب العفو أو الاعتذار من أرملة مورييس أودان²⁵ معترفا بالتعذيب الذي مارسته الدولة الفرنسية، و هو ما اعتُبر إشارة تاريخية²⁶. بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره، لا يجب نسيان الخطوة المركزية الماكرونية في المجال الذاكراتي، و هي مجموعة قرارات أبرزها: إعادة جماجم المقاومة الشعبية الجزائرية؛ إعادة كل التحف الأفريقية المسروقة خلال الحقبة الكولونيالية المتواجدة بالمتاحف الفرنسية، و كذلك فيما يتعلق بتسليم الأرشيف الفرنسي الخاص باغتيال توماس سانكارا Thomas Sankara.

في تقييمه للسياسة الذاكراتية الفرنسية الجديدة، و التي أسندت لها مهمة التخلّص من التأثيرات السلبية لحروب الذاكرة؛ و عند سؤاله عما تحقق من خطاب واغادوغو، ردّ ماكرون بما يلي: " الأول كان من الطابوهات: إعادة التراث الأفريقي. لقد اتخذنا إجراءات ملموسة للغاية فيما يتعلق بالسنغال و بينين و مدغشقر على وجه الخصوص. لكن قبل كل شيء، نص القانون الذي لا يسمح فقط، و لأول مرة، بنقل التحف الفنية مؤقتاً و لكن باستعادتها، وهذا بفضل العمل الفكري و الفني و السياسي العميق الذي طُلب من بينيديكت سافوي و فلوين سار Bénédicte Savoy , Felwine Sarr . تحتاج الأجيال الأفريقية المعاصرة إلى فهم تاريخها، و لمسها، و امتلاكها، و استعادتها. كان تقرير سار - سافوي طموحاً للغاية، و قد فتح الكثير من النقاش في جميع أنحاء أوروبا و حول العالم. لقد قاموا بعمل رائع".²⁷

على المستوى الثقافي، و منذ انتخاب ماكرون، عبّرت باريس عن عزمها على إعادة كتابة العلاقات الثقافية مع دول الجنوب، و بشكل خاص، الدول الأنجلوفونية (غانا، نيجيريا، كينيا، جنوب أفريقيا)، و الدول اللوزوفونية (أنغولا)، و الورشات الجديدة (أثيوبيا). أثناء زيارته لنيجيريا في جويلية 2018، دعا ماكرون أفريقيا و أوروبا للعمل من أجل بناء " حلول رابح-رابح " خلال خطابه أمام 300 شاب من رجال الأعمال. [...] فهناك أعلن عن تنظيم فصل الثقافات الأفريقية الذي سينظّم في فرنسا سنة 2020 بمبادرة من المجلس الرئاسي لأفريقيا، و بإشراف المعهد الفرنسي. يهدف هذا الحدث، إلى نشر و بسط " استراتيجية ثقافية و فنية و التي من شأنها إعادة وضع أفريقيا " في المركز، و صرّح: " نحن بحاجة لأن يتحدث الأفارقة أنفسهم عن أفريقيا"²⁸. حسب المفوضة العامة للمعهد الفرنسي السيّدة نغوني فال Ngoné Fall، و هي مهندسة عضو في المجلس الرئاسي لأفريقيا و باعتبارها " الوجه الجديد للعلاقة بين فرنسا و أفريقيا "، فإن الأمر يتعلق بتسليط الضوء على " الفاعلين المُبتكرين الذين يحركون المجتمعات "، و " فهم العالم من وجهة نظر أفريقية " من خلال مراجعة كل " قطاعات النشاط سواء تعلق الأمر بالابتكار الفني أو كذلك البحث العلمي، الابتكارات التكنولوجية، وضع اقتصادياتنا داخل القارة، رجال الأعمال و الشركات الحاضنة و الناشئة، التنمية المستدامة، الهندسة المعمارية و الموضة [...] ". إن الطموح هو " العمل مع المخيالات و التمثّلات و تغيير صورة فرنسا في أفريقيا"²⁹، و هو ما يؤشّر على رغبة واضحة في تعميق العلاقات مع أفريقيا الأنجلوفونية. فالرئيس ماكرون يلعب كذلك ورقة جديدة، و هي ورقة الثقافة الأفريقية التي يحاول أن يُعلي و يزيد من قيمتها على حد تعبير أنطوان غلاسر أحد أشهر المتابعين لتطورات و مسارات العلاقات الفرنسية-الأفريقية. و يضيف، أن ذلك فطنة كبيرة منه [...] فهو . أي الرئيس الفرنسي . يبعث برسالة لأفريقيا لإعلاء شأن القارة و سكّانها، و في الوقت نفسه، فهو يخاطب الدياسبورا الأفريقية في فرنسا. فالتبيعة هنا مع السياسة التاريخية القائمة على الإدماج واضحة جداً³⁰. يعترف فلوين سار بأن إيمانويل ماكرون "يتحرك في الفضاء الرمزي"، و أنه "يبدأ في إعادة ابتكار العلاقة، و التي يجب أن تمتد إلى فضاءات أخرى".

إشارات أخرى مهمة: التأشيرة طويلة الأجل للخريجين الأفارقة من فرنسا، و مشروع تزويد الطلاب الأفارقة بدبلومات فرنسية في إفريقيا، و إطلاق منصة "الرياضة و التنمية"، كان ذلك في 21 فبراير 2019، بمناسبة زيارة جورج وياه George Weah الإعلامية إلى باريس³¹. غير أن قرارات الحكومة الفرنسية القاضية برفع مصاريف التسجيل في الجامعات الفرنسية للطلبة الأجانب، يضع محل تساؤل فعالية هذه الإجراءات التي يقوم بها الرئيس تجاه الطلبة الأفارقة. [قبعد مرور مدة] على خطاب واغادوغو، حان الوقت لعرض ما تم التوصل إليه. فإذا كانت بعض الوعود قد تجسّدت من خلال أفعال رمزية قوية، فإن محاولة إقامة سردية جديدة حول العلاقات الفرانكو-أفريقية تبقى في إطار المُجرّد و غير الملموس، و لم تنجح في الحصول على القبول لدى الدبلوماسورا الأفريقية في فرنسا، و التي تعتبر أن ماكرون إنما يكتب فصلا جديدا من فصول " السياسة الأفريقية لفرنسا La Politique Africaine de la France".³² بالفعل، ففي الوقت الذي كان فيه ماكرون (في زيارته لدولة جنوب أفريقيا 2021/05/28) يرافع و يدعو من أجل التخلي عن براءات الاختراع للقاحات المضادة للكوفيد 19 و من دون قرارات ملموسة في استمرارية لتقليد فرنسي قديم قائم على الإعلانات من دون أفعال ملموسة، كان وزير الخارجية الألماني يعلن عن اعتراف ألمانيا بمسؤوليتها في ارتكاب مذبحه في حق قبائل ناما و الهيريرو في ناميبيا (1904-1908)، و تعويضهما بـ 01 مليار أورو.

4 . المستوى البنيوي: إطار جديد للعلاقات الفرنسية-الأفريقية

من حيث الإطار البنيوي الذي تتم فيه هذه السياسة، فإن تصميم ماكرون كذلك قد بدا واضحا. بخصوص الميكانيزم الأكثر رسمية في العلاقة الفرانكو-أفريقية، أي ميكانيزم القمم الثنائية المعتمد منذ 1973، [...]، فإن نسقه القائم على الاجتماع كل ثلاث سنوات قد سمح للرئيس ماكرون، و من دون أن يضعه محل تساؤل، من أن لا يلتزم به شخصيا قبل 2020. غير أن الرئيس يسعى جاهدا منذ انتخابه إلى الابتعاد عن هذا النموذج العلائقي من خلال تأطير سفرياته جنوب الصحراء في إطار مؤتمرات دولية، و ليس ثنائية؛ قمة أوروبا-أفريقيا في أبيدجان في نوفمبر 2017، المؤتمر العالمي حول التربية في فيفري 2018 بالسنغال³³، التوقف في موريتانيا في جويلية 2018 لحضور القمة 31 للاتحاد الأفريقي، و هي المرة الأولى التي يشارك فيها رئيس فرنسي في قمم الاتحاد الأفريقي.³⁴ في سؤال وجهته له مجلة Jeune Afrique: هل ستتعقد القمة الأفريقية الفرنسية أخيرا في الأشهر المقبلة؟ أجاب ماكرون: " من المفترض أن تُعقد في يوليو 2021 في مونبلييه، و سيبرز هذا التغيير في المنهج. لن ننظم قمة كلاسيكية بدعوة رؤساء الدول. هدفنا هو تسليط الضوء على الأشخاص الذين يجسدون تجديد الأجيال، بما في ذلك على المستوى السياسي. لأنه إذا كانت هناك نقطة واحدة صعبة، فهي التجديد الديمقراطي. تقوم بعض الدول بذلك بشكل منتظم، والبعض الآخر لم يفعل ذلك"³⁵. غير أن المواقف الفرنسية حيال مطلب التحول الديمقراطي في الكثير من الدول الأفريقية، و العلاقة الوثيقة بين فرنسا الرسمية و الكثير من النظم التسلطية الأفريقية، و لعل آخرها التواطؤ الفرنسي مع الانقلابيين في مالي أو خلافة إدريس ديبي الغربية من طرف ابنه و القبول الفرنسي بذلك.

تجديد آخر على مستوى البنى التي تُدير العلاقات الفرنسية مع أفريقيا، و الذي يُحسب للرئيس ماكرون، هو المجلس الرئاسي من أجل أفريقيا كبديل لخلية الإليزيه رمز العلاقات السرية و المشبوهة بين رؤساء الجمهورية الخامسة و الرؤساء الأفريقيين. فقد تم إنشاء هذا المجلس في أوت 2017 من طرف الرئيس ماكرون. يتشكّل من فرنسيين و أفريقيين مزدوجي الجنسية، مهمته توجيه رئيس الدولة بخصوص العلاقة الجديدة لفرنسا مع أفريقيا. " يمثل المجلس الرئاسي من أجل أفريقيا بالنسبة لماكرون علبة أفكار. فهو يأخذ منها الكثير، و هذا يصل حتى الجزئيات اللغوية و الزيارات و طبيعة الخطابات " كما يشير إلى ذلك ليونيل زينسو. بشكل ملموس أكثر، فقد استوحى ماكرون خطابه في واغادوغو من هذا المجلس، و هو ما سمح بإطلاق النقاش حول إعادة الكنوز الملكية التي تطالب بها دولة البنين، و التي تم بالفعل إرجاعها لهذه الدولة الأفريقية. كما أن أعمال هذا المجلس سمحت بإطلاق فكرة بعث فصل الثقافات الأفريقية " أفريقيا 2020"، و هو حدث ثقافي تم تنظيمه بين جوان و ديسمبر 2020 بهدف الاحتفاء بالابتكار الأفريقي. كما لعب المجلس الرئاسي من أجل أفريقيا دورا نشطا في الحضور القوي لأفريقيا منذ سنتين في الصالون الكبير للتكنولوجيات فيفاتيك Vivatech، أين تم الإعلان عن برنامج بـ 65 مليون دولار كدعم للمؤسسات الحاضنة الأفريقية Les Start-Up africaines.³⁶ إن الاستعاضة بهذا المجلس عن خلية الإليزيه، التي كانت تشكّل القلب النابض لكل الانحرافات الفرنسية في علاقاتها بأفريقيا، هو مؤشر قوي على سياسة القطيعة التي يريدها ماكرون.

مظهر آخر من مظاهر التجديد الماكروني في الإطار البنيوي الخاص بالعلاقات الفرنسية-الأفريقية، هو أن ماكرون بدأ[...]. في تطبيق نظرة متجدّدة للعلاقات الفرنسية-الأفريقية من خلال إصلاح الدعم المقدم للتنمية [...]. للمرة الأولى منذ تأسيس الجمهورية الخامسة لم يعين الرئيس وزيرا مكلفا بالتنمية، حيث تم إرسال التوجّهات الجديدة مباشرة من الإليزيه إلى الوكالة الفرنسية للتنمية AFD، و هي هيئة تقنية و ليست سياسية³⁷، و هذا بحد ذاته تجاوزٌ لأحد أهم ميكانيزمات عمل La Françafrique، بالنظر لفضائح الفساد التي تورطت فيها وزارة التنمية مع العديد من النظم الأفريقية الفاسدة.

5- المستوى الاقتصادي: صعوبات تصفية التركة النقدية للكولونيالية

شكّل قرار التخلّي عن الفرنك CFA، و تعويضه بعملة éco حجر الزاوية في خطاب ماكرون المناهض و المعادي لكل ممارسات La Françafrique التي ميّزت السياسة الفرنسية اتجاه أفريقيا منذ اللحظات الأولى لتصفية الكولونيالية، حيث اعتُبر هذا الفرنك بأنه واحدة من "البقايا الأخيرة لـ La Françafrique"، و كذلك إنهاء إيداع احتياطات النقد الأجنبي في فرنسا لـ 8 دول غرب إفريقيا الناطقة بالفرنسية³⁸. في حوار مع مجلة Jeune Afrique أشار ماكرون إلى أن: "نهاية فرنك CFA هو إصلاح مهم، [...] و الذي يضع حداً لعلامة رمزية للغاية أثارت العديد من الأوهام و الانتقادات. نريد أيضاً تعزيز ديناميكية جديدة في العلاقة الاقتصادية التي توحد فرنسا و القارة، من خلال منصة إفريقيا الرقمية، و لكن أيضاً بفضل قمة التمويل لأفريقيا التي سننظمها في مايو 2021، في باريس"³⁹. لقد أوضح مقياس CIAN (المجلس الفرنسي للمستثمرين في أفريقيا CIAN)،

الذي يمثل أعضاؤه 80% من حجم الأعمال المنفذة في القارة.⁴⁰ بخصوص الحماس الذي أثاره إنشاء éco ليحل محل فرنك CFA، فإن القرار كان مدعومًا بنسبة 82% من 2423 من قادة الرأي الذين شملهم الاستطلاع من 12 دولة (يمثلون 56% من السكان الأفارقة).⁴¹ في إطار الروح التفاؤلية التي أثارها قرارات ماكرون، أشار إيتيان جيرو Etienne Giros، رئيس CIAN إلى أنه يتم تسجيل نهاية La Françafrique و حالات الربح. [...] و قد تم بالفعل اتخاذ مبادرات جيدة في هذا الاتجاه، على سبيل المثال تعزيز Bpifrance أو Business France أو الوكالة الفرنسية للتنمية (AFD)،⁴² فقد ارتفع رصيد الاستثمار الأجنبي المباشر الفرنسي في القارة الأفريقية من حوالي 5.9 مليار يورو في عام 2000 إلى 52.6 مليار يورو في عام 2017 (و بلغت ذروتها أكثر من 56 مليار يورو في عام 2016) "بحسب نفس التقرير.⁴³

من أجل تأكيد الحاجة لقطع الصلة بممارسات الماضي، أشار كريستوف لوكورتييه Christophe Lecourtier، المدير العام لشركة بيزنس فرانس، و منظم المنتدى الثاني "طموح أفريقيا Ambition Africa"، و الوكالة الحكومية المسؤولة عن دعم الشركات دوليًا، أنه يجب علينا الآن دعم التنمية في أفريقيا "التي لا تقوم على الافتراس La Prédation، ليس فقط للتصدير أو البناء المادي للبنية التحتية"⁴⁴. كما ذكّر وزير المالية، برونو لومير Bruno Le Maire، طموح ماكرون في "تسهيل التنمية الاقتصادية لأفريقيا من خلال روح ريادة الأعمال"، مذكرا بأن فرنسا اختارت تخصيص 2.5 مليار يورو لتمويل الشركات الأفريقية الصغيرة والمتوسطة. ستكون القمة الأفريقية الفرنسية الثامنة والعشرون في بورديو، (في يونيو 2020)، و المخصصة لتطوير "مدن و أقاليم مستدامة"، فرصة لمعرفة ما إذا كانت هذه الاستراتيجية تجتذب اللاعبين السياسيين و الاقتصاديين في القارة.⁴⁵

غير أن وراء هذه الخطابات الجذابة، تختفي إشكالات تعود لسنين طويلة من التفاعلات الفرنسية-الأفريقية، و التي عملت الممارسات التي تتم في إطار La Françafrique على ترسيخها. ففي 25 نوفمبر 2019 في مالي، لقي 13 جنديًا فرنسيًا حتفهم في حادث تحطم طائرة، [...] و سرعان ما تبلورت النقاشات حول شرعية وجود الجيش الفرنسي في إفريقيا و مصالحه الخفية. يعتقد العديد من النقاد أن الدولة الفرنسية تحافظ على سيطرتها على الاقتصاد الأفريقي من خلال الوجود العسكري تحت ستار مكافحة الإرهاب. [...] في 26 نوفمبر 2019، بينما أشاد إيمانويل ماكرون بهؤلاء الجنود الـ 13 الذين سقطوا في مالي عبر حسابه على تويتر، رد عليه عالم الاجتماع ماتيو ريغوست Mathieu Rigouste بسؤاله عما إذا كان الضحايا قد ماتوا "لحماية" البلاد أو "لحماية مصالح الدولة و الصناعات الفرنسية".⁴⁶ و يُذكر، في كتاباته، أن الباحث في المعهد الاستراتيجي للمدرسة العسكرية في باريس، مهدي تاج، تولى هذا الموقف في أعمدة إعلام مالية عام 2017، مؤكدًا أن "الواقع الجغرافي لهذه المنطقة من شأنه أن يسمح لبعض الدول، إذا تموقعت اقتصاديًا و عسكريًا، بالسيطرة بشكل أفضل على ثروات دول المغرب العربي و غرب إفريقيا". [...] [بائعو الأسلحة مثل داسو مدرجون أيضًا في قائمة الشركات التي تحقق أرباحًا واضحة من العمليات الفرنسية في منطقة الساحل. "كانت

عملية سرفال Serval ثم برخان Barkhane فرصة لاختبار و تعزيز طائرات داسو Dassault المقاتلة و الصواريخ من شركة MBDA للطيران" كما يشير له عالم الاجتماع، الذي ذكر أيضاً "صادرات رافال Rafale إلى مالي".⁴⁷

على الرغم من تواجد راسخ و قوي في القارة، بفضل 1100 مجموعة و 2109 شركات تابعة، و ثالث أهم مخزون استثماري بعد المملكة المتحدة و الولايات المتحدة، لا تزال فرنسا تبدو مثقلة بـ "ماضيها الكولونيالي و المسألة الذاكراتية"، كما يُحلّل إيتيان جيرو Etienne Girois، الذي يدعو إلى "تفكيك العلاقة و إبعادها عن العاطفة، بحيث تصبح الفائدة التي تعود على أفريقيا من عمل الشركات الفرنسية حقيقية فعليا".⁴⁸ بشكل عام، فالإشارات الرمزية في المجال الذاكراتي لم تنتج ما كان مرجوًا منها، مثلها مثل الإعلان المفاجئ عن إصلاح فرنك الاتحاد المالي الأفريقي في 21 ديسمبر 2019[...]. الذي استقبله الخبراء الأفارقة بشكل متباين،⁴⁹ و حتى قرار إنهاء إيداع احتياطات النقد الأجنبي في فرنسا لـ 8 دول غرب إفريقيا لم يتم تطبيقه حتى اليوم⁵⁰، إذ لا تزال هذه الاحتياطات تحتفظ بها الخزانة الفرنسية.⁵¹

في مساهمة له و تعقيبا على حوار ماكرون مع مجلة Jeune Afrique الذي أثار الكثير من ردود الفعل في أفريقيا، كتب أحد أكبر المفكرين الأفريقيين، أشيل مبيمبي Achille Mbémbe: "كيف يمكن لومهم بالكامل؟ الغياب الصارخ للخيال التاريخي بالفعل. لا توجد كلمات سياسية ذات وزن. لا يوجد مفهوم واحد. عند قراءة هذه الصفحات بسرعة، يخرج المرء بانطباع راسخ بأن فرنسا تطمح إلى شيء واحد فقط في القارة[...]: جني المال"⁵²، و هذه شهادة من أحد أكبر و أحسن متابعي العلاقات الفرنسية-الأفريقية على الإطلاق و التي لا تحتاج لأي تعليق.

6- المستوى العسكري و الأمني: تصاعد دور العسكري مقابل تراجع دور الدبلوماسية

تكشف الأشهر الأولى من عهدة ماكرون الرئاسية عن توجهين متناقضين في الظاهر لكنهما متكاملين استراتيجيا حيال أفريقيا: الإبقاء على المقاربة الأمنية لسابقه في الساحل، و إطلاق عملية إصلاح عميقة للدعم المقدم من أجل التنمية[...]. إن تأكيد الهيمنة الأمنية و الساحلية على العلاقات الفرنسية-الأفريقية هو مؤشر على تغيير في المرحلة التاريخية.⁵³ هذه [الاستمرارية الضمنية] لعقيدة هولاند 1، القائمة على مبدأ " أمن أفريقيا للأفريقيين " ترتبط باستراتيجية الانسحاب أمام الخطر الحقيقي المتمثل في التورط الفرنسي في مستنقع الساحل⁵⁴ [...]. إن تحويل الوزير جون-إيف لودريان، الذي لعب دورا حاسما في بعث السياسة الأمنية الجديدة جنوب الصحراء [...]. من وزارة الدفاع إلى الخارجية، يجسد بشكل جيد هذا البعد المزدوج للاستمرارية و التجديد في الميدان الأمني. فالزيارة الرئاسية القصيرة لنيجيريا في جويلية 2018، [...] تقع هي كذلك في إطار منطق التحالف العسكري مع هذه الدولة لمحاربة بوكو حرام (اتفاق التعاون في مجال الدفاع الموقع في باريس بتاريخ 16 جوان 2016).

من أجل فهم أحسن و أعمق لقضايا الاستمرارية و التغيير في السياسة الفرنسية اتجاه أفريقيا، لا بد من الإشارة عند هذا المستوى إلى أن أحد أكبر ميكانزمات عمل شبكات La Françafrique منذ تصفية الكولونالية، هو هذه العلاقة الحميمة بين النظم التسلطية الأفريقية و فرنسا على قاعدة الخدمة المطلقة للمصالح الفرنسية من طرف هؤلاء الحكّام الأفارقة مقابل حماية فرنسية مطلقة. لقد استطاع هذا الميكانيزم من تجديد نفسه، و الاستمرار رغم تعاقب كل رؤساء الجمهورية الخامسة وصولاً عند الرئيس الحالي الذي رفع شعار القطيعة مع مثل هذه الممارسات.

فمنذ فترة طويلة لم يعد الضباط ذوي الرتب العالية يؤمنون في فعالية تدخلهم في الساحل. أسباب ذلك متعددة. لكن في المقام الأول، هناك غياب الثقة في النخب السياسية في دول الساحل، التي تُعتبر مرتشية⁵⁵ [...] و أصبحت ذات قدرات عالية في التمثيل و التظاهر بمحاربة الإرهاب⁵⁶. يعتبر أحد أكبر المختصين في الشؤون الأفريقية، مارك-أنطوان بيروز دو مونكلو Marc-Antoine Pérouse de Montclos حول تقييمه للتدخل الفرنسي في الساحل، [...] و مطالبته بمراجعة عميقة و جذرية للسياسة الفرنسية في المنطقة،⁵⁷ أنه: " منذ ستين عاماً و فرنسا تتبع سياسات تعاون عسكري مع أفريقيا، لكن ما هي النتائج؟ تواصل جميع الجيوش في المنطقة قتل المدنيين من دون عقاب. [...] و عملية "برخان" تطيل في عمر الأنظمة الفاسدة، و بعض الأنظمة في غاية التسلطية [...] دعنا نقول أن الوجود العسكري الفرنسي لا يستخدم فقط لمحاربة الإرهاب، فهو يضمن كذلك للحكومات القائمة أنه لن تكون هناك انقلابات ضدها".⁵⁸ فعندما قام الطيران الحربي الفرنسي في فيفري 2019 بقصف مجموعة من الدبابات التابعة لاتحاد قوى المقاومة UFR، و هي حركة تشادية معارضة مسلّحة، لم يُفوّت المعلّقون هذه الفرصة للتذكير بالتاريخ الطويل للتدخلات التي يقوم بها المستعمر القديم في تشاد.⁵⁹ و تشير الأستاذة المحاضرة في العلوم السياسية في جامعة Paris-Ouest-Nanterre-La Défense ماريال دوبوس Marielle Debos، أنه في سنة 2019 لم يعد الجيش الفرنسي يكتفي بخلق الظروف التي تكون في صالح انتصار للجيش التشادي، بل تتكفل فرنسا نفسها بقصف المتمردين. و هو ما توكّد عليه الباحثة في العلاقات الدولية المختصة في الشؤون الأفريقية دلفين لوكوتر Delphine Lecoutre، حيث اعتبرت أن هذه العملية، التي يكون قد قُتل فيها العديد من أعضاء اتحاد القوى المقاومة، متميزة في نقطة واحدة: للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، تتحمل باريس بشكل كامل استعمال القوة في شأن سياسي داخلي متسببة في إحراج لحليفها إدريس ديبي⁶⁰.

غير أن الجدل الدائر في فرنسا حول السياسة الخارجية و الدفاعية و عواقبه في الساحل هو جدل فقير للغاية، مثل ردود فعل البرلمانين على القصف الذي حدث [قصف المعارضة التشادية]. بشكل عام، لا نسمع إلا عدداً قليلاً من السياسيين يشكّون في تحالفات فرنسا السياسية و خياراتها. في تشاد، من ناحية أخرى، لم يمر دور القوة الاستعمارية السابقة دون أن يلاحظه أحد، و أدكى شعوراً معارضاً للفرنسيين لم يكن مفاجئاً بالنظر للتاريخ و الحاضر.⁶¹ من وجهة نظر قانونية، تقع هذه الضربات الفرنسية في إطار اتفاق التعاون العسكري الذي يعود

تاريخ التوقيع عليه إلى سنة 1976. و منذ ذلك التاريخ، تم فهم و تجسيد أو تطبيق هذا الاتفاق بشكل موسّع جدًا من قبل الطرفين.⁶² ففرنسا ماكرون لم تتردد في العودة إلى اتفاق يعود للحرب الباردة و أزهى فترات ممارسات La Françafrique من أجل تبرير هذا الدعم الكبير لنظام إدريس ديبي. و هذا مثال آخر صارخ على استمرارية و هيمنة الممارسات التي نمت و ترسّخت على طول التاريخ الخاص بأسرار La Françafrique. هذا المثال لوحده يجسّد كيف انكسرت و تحطّمت الصرخة التي أطلقها ماكرون في واغادوغو الخاصة بنهاية La Françafrique ، هذه الأخيرة التي هزمته مثلما هزمت كل الرؤساء الذين سبقوه في محاولة تجاوز منطق عملها و البحث لها عن بديل.

ما يُلاحظ هو أن التأثير و النفوذ السياسي و الدبلوماسي لقيادة الأركان الفرنسية لا يكف عن التزايد و التصاعد موازاة مع تكثيف التدخل العسكري لباريس في المنطقة الساحلية-الصحراوية منذ سنة 2013. " اليوم في الساحل، يتفوق المظهر الأمني على كل المظاهر الأخرى، كما يلاحظ بمرارة أحد الدبلوماسيين. كنتيجة لذلك، أصبح العسكريون المحاورين الذين يتم النظر إليهم على أنهم أساسيين من طرف المسؤولين السياسيين. فتحليلاتهم تسمو فوق تحاليلنا نحن الدبلوماسيين ". في بعض الدول الساحلية أصبح الضباط الفرنسيون هم المحاورين الأوائل لرؤساء هته الدول⁶³، و هذا بحد ذاته تعميق لكل ما تقوم عليه La Françafrique منذ تأسيس شبكاتها الأولى التي هيمن فيها العنصر الأمني و العسكري.

هذا التطور كان ثمرة "[...] إضعاف وزارة الشؤون الخارجية. " إن ما يقوم به العسكريون لا يعدو أن يكون سوى ملء الأماكن الفارغة التي تركها الدبلوماسيون"، كما أشار إليه لوران بيغو Laurent Bigo، نائب المدير السابق المكلف بغرب أفريقيا في الكيدورسيه [...]. فعلى مرّ ثلاثة عقود من الزمن، فقدت وزارة الخارجية 53% من العاملين بها، كانت الحصّة الأكبر من العاملين في القارة الأفريقية⁶⁴. من منظور منطق عمل La Françafrique ، فإن هذا التصاعد لقوة العسكريين في المجال الدبلوماسي سيكون فرصة إضافية للوقوف في وجه كل محاولات تحييد و إلغاء التأثيرات التي يمكن أن تمارسها الشبكات المرتبطة بـ La Françafrique، إذ يتجلى ذلك من خلال الروابط القوية التي تجمع بين العسكريين الفرنسيين و بعض الرؤساء الأفارقة الذين يحظون بحماية عسكرية فرنسية مباشرة.

لذلك تعتبر مجموعة من الباحثين، "[...] أنه يجب على فرنسا أن تُحدث قطيعة مع الخطاب العسكري الذي يسود في الساحل. يجب إخضاع الأداة العسكرية الفرنسية لمشروع سياسي واقعي يتم وضعه من طرف مجتمعات الساحل".⁶⁵ ففي مساهمة لها، اعتبرت نياغالي باكاويكو Niagalé Bagayoko، المتخصصة في إدارة النزاعات، أنه "يجب أن تشجع حالات الفشل الحالية على تقييم عدة عقود من التعاون التقني مع الشركاء الخارجيين".⁶⁶

خاتمة

بالرغم من قوة الإشارات الرمزية و الحملة الترويجية و الأفعال ذات الدلالات القوية التي صاحبت خطاب القطيعة مع La Françafrique، إلا أن مظاهر الاستمرارية تتفوق و تتغلب بقوة على مظاهر التغيير و القطيعة مع كل الممارسات التي ازدهرت و تم ترسيخها على مدار عقود من الزمن في إطار شبكات La Françafrique. يبرز ذلك من خلال ما يأتي:

✓ العراقيل و التراجع الذي تم تسجيله في مجال السياسات الذاكراتية التي تُعتبر مفصلية في العلاقات المستقبلية الفرنسية-الأفريقية، و كل ذلك بضغط من دوائر تحارب بقوة كل المواقف الذاكراتية الفرنسية القائمة على التوبة و الاعتذار و التعويض.

✓ بالرغم من خطاب القطيعة و التجديد، تستمر فرنسا في وضع الأنظمة الأفريقية تحت التنفّس الاصطناعي، من خلال توفير الحماية و الدعم لأكبر النظم تسلطية و ارتشاء، و لا تتردد في توزيع النقاط على النظم المطيعة و النظم التي تناهض الهيمنة الفرنسية.

✓ يشكّل التواجد العسكري الفرنسي المكثّف في الساحل، و ما تسبب فيه من مشاعر مناهضة لفرنسا نموذجا عن السياسات الواجب تجنبها فرنسا من أجل علاقة جديدة، و في قطيعة مع ممارسات الماضي.

✓ بالرغم من اعتماد عملة جديدة بديلة للفرنك CFA، لا يزال العمل بهذه الأخيرة ساري المفعول و لا تزال دول غرب أفريقيا تقوم بإيداع احتياطات ضخمة من النقد الأجنبي لدى الخزينة الفرنسية، و هو ما يذكر بأزهي مراحل شبكات La Françafrique.

✓ هناك خيبة أمل واضحة لدى قطاع واسع من النخب الأفريقية الفرانكفونية حيال بعض القرارات الفرنسية التي تتعارض مع الخطاب الرسمي الإيجابي حيال الدياسبورا الأفريقية.

لكن و بالرغم من مظاهر الاستمرارية، فإن العودة لتأطير العلاقات الفرنسية-الأفريقية وفقا للمنظور الضيق الخاص بـ La Françafrique لم يعد ممكن فرنسا و لا أفريقيا. طرفي العلاقة بحاجة لمزيد من الوقت لتتقبة علاقاتهما من ممارسات تجذرت على مدار أكثر من ستين عاما من تصفية الكولونيالية.

الهوامش:

¹ Frédéric Charillon , « L'éthique : le nouveau mot d'ordre de la politique étrangère française ? », *Revue Internationale et Stratégique*, n° 67, 2007, p. 87.

²François Gaulme, « il n'y a plus de politique africaine. Emmanuel Macron et le fantôme de François Mitterrand », *Editoriaux de l'IFRI*, IFRI, 2017.

³ تُشكّل La Françafrique ثعبان بحر السياسة الخارجية الفرنسية منذ ستة عقود من الزمن. تمّ الترويج لها سنوات التسعينات لتشير هذه العبارة إلى العلاقات الخاصة. دعم الديكتاتوريين، استخدام القوة في التدخلات، تحويل الأموال، تمويل غير شرعي للأحزاب السياسية الفرنسية. التي أقامتها باريس و مازالت تحافظ عليها مع العديد من الدول الأفريقية. تُجمع العديد من الدراسات التي اهتمت بموضوع La Françafrique في غالبيتها على استفادة كل الرؤساء الفرنسيين من هذا النظام من دون استثناء. كانت بداية تأسيس هذا النظام بقرار الجنرال ديغول تشكيل " خلية أفريقيا Cellule Afrique " التي أقامها مباشرة في قصر الإليزيه و متحررة من كل وصاية وزارة الخارجية، و نصّب على رأسها جاك فوكار Jacques Foccart الذي كان شعاره: " البقاء في الظل من أجل عدم التعرّض لضربة شمس ". عمل جاك فوكار طول حياته على نسج شبكة كثيفة فرانكو-أفريقية تجمع بين رجال السياسة، رؤساء الدول الأفارقة، رجال الأعمال، أجهزة المخابرات، رجال الإعلام و الثقافة و المرتزقة. في سنة 1998، نشر الكاتب الفرنسي فرانسوا-غزافيه فيرشاف François-Xavier Verschave كتابا عرف رواجا كبيرا، فضح فيه منظومة و آليات عمل La Françafrique. حيث أشار إلى كيفيات السطو على الدعم العمومي لموجّه للتنمية، الاغتيالات، الانقلابات. هو مؤسس جمعية سورفي Survie التي تناضل ضد فرنسا، قام بتشكيل قوائم تحالف السلاح من خلال الشبكات المملوكة له قد حطمتها فرنسا-غزافيه فيرشاف على أنماك " La Françafrique " مثال على الحاد الذي أدركه العالم من هذا الحزم الظاهر من هذا الحاد فنتسا أحسن صورة لفرنسا، حقبة الاستعمار... بعد ذلك لديك 90% من العلاقة يوجد تحت الماء: مجموع آليات الحفاظ على الهيمنة الفرنسية في أفريقيا مع حلفاء أفارقة ". من أجل إحاطة واسعة بموضوع La Françafrique ، أنظر :

- François-Xavier Verschave, *La Françafrique, le plus long scandale de la république*, Paris : Stock, 1999.
- François-Xavier Verschave, *Noir Silence, qui arrêtera la françafrique ?*, Paris : Les Arènes, 2000.
- François-Xavier Verschave, *De la Françafrique à la Mafrafrique*, Paris : Tribord, 2004.
- Jean-Pierre Bat, *Le syndrome Foccart: La politique française en Afrique, de 1959 à nos jours*, Paris, Gallimard «Folio histoire », 2012.
- Jean-Pierre Bat, *La fabrique des barbouzes: Histoire des réseaux Foccart en Afrique*, Paris : Nouveau Monde éditions, 2015.

⁴Boko Hermann, « Emmanuel Macron courtise la diaspora pour renouveler les relations avec l'Afrique », 2019, <https://bit.ly/39k1xe8>, consulté le 10/11/2019.

⁵ يعتبر غوردن كومينغ أن ما يمكن ملاحظته في الحالة الفرنسية بشكل راديكالي خلال نصف القرن المنقضي؛ كذلك الهياكل أو البنى، فإذا كانت قد عرفت تكيفا و تعديلا فإنها مع ذلك تحافظ على طابعها المعقّد الأصيل و كذا آثار الحقبة الكولونيالية. عندما يتم النظر لهذا من خارج فرنسا، هناك إلى الآن بقاء تأثير ساحر و استغراب من طرف البريطانيين بخصوص ديمومة هذه الهياكل أو البنى؛ إن هذا يخلق لديهم اضطراب كذلك بالنظر إلى أنهم لم يتمكنوا حتى الآن من فهم سبب وجود هذه الهياكل. أنظر :

- Tony CHAFER, « cinquante ans de politique africaine de la France un point de vue britannique » *Afrique Contemporaine*, n 235, 3/2010, p. 54. (pp. 53-62).

⁶ حول هذه الأطروحة، أنظر :

- Antoine Glaser, *Africafrance. Quand les dirigeants africains deviennent les maîtres du jeu*, Paris : Fayard, Essai, 2014.

⁷ Aline Leboeuf, Héléne Quenot-Suarez, « La politique africaine de la France sous François Hollande. Renouvellement et impensé stratégique », Institut Français des Relations Internationales IFRI, Les Etudes, Programme Afrique Subsaharienne, 2014, p. 5.

⁸Pascal Airault, « en s'adressant à la diaspora, Macron mêle diplomatie et politique intérieure », 2019, <https://bit.ly/3bFP1Gb>, consulté le 27/12/2019 .

⁹Jean-Christophe Servant, « Vers l'Afrique, un «soft power» qui tourne au «hard» », 2019, <https://bit.ly/2Svd0jH>, consulté le 10/11/2019.

¹⁰ Boko Hermann, op. cit.

¹¹ Ava Djamshidi, « Macron, VRP de la France en Afrique de l'Est », 2019, <https://bit.ly/3bEbOSM>, consulté le 27/12/2019 .

¹² Ibid.

¹³ François Gaulme, « Emmanuel Macron et l'Afrique: la vision et l'héritage », *Etudes de l'IFRI*, Centre Afrique Subsaharienne, janvier 2019, <https://bit.ly/3wjpkVm>, consulté le 19/05/2021.

¹⁴ أنظر :

- Jacques Nkinzingabo/AFP, « Louise Mushikiwabo n'a pas sa place à la tête de la francophonie », 2018, <https://bit.ly/3bAS2Hz>, consulté le 18/12/2019.

Charles Josselin, « 15 آذار، ما حدث في مقال مشترك، لبيعة مناهة فرنسية سابقين مسؤولين عن الفرنكفونية، و هم Pierre-André Wiltzer, Hélène Conway-Mouret et André Vallini تم نشره في جريدة لوموند Le Monde بتاريخ 13 سبتمبر 2018 تحت عنوان: « Louise Mushikiwabo n'a pas sa place à la tête de la francophonie », أوضحوا فيه لماذا هذا التعيين يمس صورة فرنسا نفسها. حول هذا المقال أنظر:

- Jacques Nkinzingu / AFP, « Louise Mushikiwabo n'a pas sa place à la tête de la francophonie », *Le Monde*, Publié le 13 septembre 2018 à 07h00 - Mis à jour le 11 octobre 2018, <https://bit.ly/3bAS2Hz>, consulté le 18/12/2019.

كما أن جريدة لوجورنال دو ديمانش Le Journal du Dimanche الصادرة بتاريخ 11 أكتوبر 2018 و تحت مقال بعنوان « 15 آذار، ما حدث في مقال مشترك، لبيعة مناهة فرنسية سابقين مسؤولين عن الفرنكفونية، و هم Pierre-André Wiltzer, Hélène Conway-Mouret et André Vallini تم نشره في جريدة لوموند Le Monde بتاريخ 13 سبتمبر 2018 تحت عنوان: « Louise Mushikiwabo n'a pas sa place à la tête de la francophonie », أوضحوا فيه لماذا هذا التعيين يمس صورة فرنسا نفسها. حول هذا المقال أنظر:» هدف « 1-/- اعتمدت رواندا اللغة الإنجليزية لغة إجبارية في المدرسة و انضمت إلى الكومنولث؛ 2-/- يتم اتهام رواندا بقيادة كاغامي دوريا بخرق حقوق الإنسان؛ 3-/- تم النظر للحركية و النشاط على محور باريس-كيغالي من قبل البعض على أنه عودة لـ La Françafrique؛ 4-/- ينتقد آخرون إيمانويل ماكرون لاستخدامه هذه الانتخابات للاقتراب من رواندا ، في حين أن العلاقات الثنائية قد تمت الإساءة لها عدة مرات. حول هذه النقاط الأربعة، أنظر:

- Marianne Enault, « Francophonie :pourquoi la nomination d'une rwandaise soutenu par Macron fait polémique ? », *Le Journal du Dimanche*, 11 octobre 2018, <https://bit.ly/38rTGt6>, consulté le 18/12/2019.
- تعليقا على فوز مرشحة الإليزيه لرئاسة منظمة الفرنكفونية في اليوم الأخير من أشغال قمة إيريفان Erevan السابعة عشر للفرنكفونية (المنعقدة في العاصمة الأرمنية أيام 11-12 أكتوبر 2018)، صرّح الرئيس ماكرون: " في ميكروفون راديو فرانس أنترناسيول RFI، أنا سعيد بهذا التعيين لأنه يتوافق مع وجه الفرنكفونية اليوم [...] أمام الفرنكفونية عدة ورشات: ورشة الشباب و لغته. لهذا السبب أردت أن يكون بلدا أفريقيا هو الذي يمكنه أن يتراأس ، وبالتالي التمكين لبروز ترشيح أفريقي. أفريقيا هي القارة الشابة أو الأكثر شبابا. هذه المعركة من أجل الفرنسية هي معركة من أجل التعليم باللغة الفرنسية ، إنها معركة ضد الظلامية لأنه بتعلم اللغة الفرنسية نتعلم القيم التي تسير معها. " أنظر:
- AFP et Le Figaro, « « Macron «se réjouit» de la nomination de la Rwandaise Mushikiwabo à la Francophonie », 12 octobre 2018, <https://bit.ly/38vuUIB>, consulté le 18/12/2019.

¹⁶ أنظر:

- Romain Gras, « Rwanda : la France officialise son soutien à la candidature de Louise Mushikiwabo à la tête de l'OIF », 2018, <https://bit.ly/2SP2z9u>, consulté le 18/12/2019 .

¹⁷ « Emmanuel Macron propose la création d'une « journée de commémoration du génocide des Tutsis », *La Croix*, 2019, <https://bit.ly/38zW55i>, consulté le 23/12/2019.

¹⁸ Pierre Lepidi, Gaidz Minassian, « Depuis le génocide en 1994, entre la France et le Rwanda, un si long chemin diplomatique », *Le Monde*, 17/05/2021, <https://bit.ly/3wH5q6N>, consulté le 28/05/2021.

¹⁹ المرجع نفسه.

²⁰ Piotr Smolar, « A Kigali, Emmanuel Macron espère le « don » du pardon de la part des rescapés du génocide », *Le Monde*, 27/05/2021, <https://bit.ly/2TuHJ3v>, consulté le 28/05/2021.

²¹ حول هذه الفكرة أنظر:

- Philippe Leymarie, « L'armée française « malade du Rwanda » ? », 2014, <https://bit.ly/38wcSpF>, consulté le 30/12/2019.

²² Anne Hamidou, « Pour M. Macron, faire revenir le Rwanda dans le giron de la Francophonie est un coup de poker », 2018, <https://bit.ly/3bGTVCu>, consulté le 18/12/2019 .

²³ أنظر:

- « Guerre d'Algérie : Emmanuel Macron confie une mission à Benjamin Stora », *Jeune Afrique/ AFP*, 2020, <https://bit.ly/3oIEVuf>, consulté le 13/01/2021.

²⁴ أنظر:

- Jules Crétois, « Affaire Maurice Audin : la France amorce un virage mémoriel avec l'Algérie », 2018, <https://bit.ly/38GqfGr>, consulté le 13/01/2021.

²⁵ أنظر:

- Jules Crétois, « Algérie-France : Emmanuel Macron demande « pardon » à la veuve de Maurice Audin », 2018, <https://bit.ly/2LR75Ew>, consulté le 13/01/2021.

²⁶ أنظر:

- Benaouda Lebdaï, « Reconnaissance par Macron de la torture en Algérie : un geste historique », 2018 <https://bit.ly/3sinTFz>, consulté le 13/01/2021.
- ²⁷ Benjamin Roger, Marwane Ben Yahmed, « Emmanuel Macron : « Entre la France et l’Afrique, ce doit être une histoire d’amour ». Macron prône une "relation équitable" entre la France et l’Afrique », 2020, <https://bit.ly/3bLJyzZ>, consulté le 16/01/2021.
- ²⁸ Jean-Christophe Servant, « Vers l’Afrique, un «soft power» qui tourne au «hard» », 2019, <https://bit.ly/2Svd0jH>, consulté le 10/11/2019.
- ²⁹ Ibid.
- ³⁰ Justine Benoit, « Antoine Glaser, « La Françafrique devient l’Africafrance » », 2018, <https://bit.ly/38Fy10w>, consulté le 10/11/2019.
- ³¹ Benjamin Roger, Marwane Ben Yahmed, op.cit.
- ³² Benjamin Mampuya, « Diasporas, les éternelles oubliées de la (non) politique africaine de la France », *Afrique. La Tribune*, 11/07/2019, <https://bit.ly/2Rzsup0>, consulté le 27/12/2019.
- ³³ François Gaulme, « Emmanuel Macron et l’Afrique: la vision et l’héritage », op.cit, p. 13.
- ³⁴ Ibid. p .14.
- ³⁵ Benjamin Roger, Marwane Ben Yahmed, op.cit.
- ³⁶ Boko Hermann, op.cit.
- ³⁷ François Gaulme, « Macron et l’Afrique : nouvelle approche pour un changement d’époque», In : Thomas GOMART, Marc HECKER (sous. dir). *Macron, An 1. Quelle politique étrangère ?*, 2018, <https://bit.ly/2wdtjc5>, consulté le 22/11/2020.
- ³⁸ Lassaad Ben Ahmed, « France/Afrique: les intérêts économiques refont surface », 2020, <https://bit.ly/2XRbTN0>, consulté le 17/01/2021.
- ³⁹ Benjamin Roger, Marwane Ben Yahmed, op.cit.

⁴⁰ أنظر :

- Sandrine Berthaud-Clair, « La France en Afrique, un partenaire d’affaires de moins en moins particulier », 2020, <https://bit.ly/3ijw5Au>, consulté le 16/01/2021.

⁴¹Ibid.

⁴² Etienne Giros, « Les investisseurs français en Afrique attendent d’Emmanuel Macron un vrai « virage africain » », 2017, <https://bit.ly/3spOlwO>, consulté le 16/01/2021.

⁴³ Lassaad Ben Ahmed, op.cit.

⁴⁴ Sandrine Berthaud-Clair, op.cit.

⁴⁵ Ibid.

⁴⁶ Lassaad Ben Ahmed, op.cit.

⁴⁷ Ibid.

⁴⁸ Sandrine Berthaud-Clair, op.cit.

⁴⁹ Ibid.

⁵⁰ تجب الإشارة إلى وجود حديث عن تحويل البنك المركزي الفرنسي لـ 05 مليار أورو إلى البنك المركزي لدول غرب أفريقيا، و هي حصة من احتياطات دول المنطقة في البنك المركزي الفرنسي. (قناة فرانس 24 بالفرنسية، Le Journal de L’Afrique، 2021/05/29).

⁵¹ Lassaad Ben Ahmed, op.cit.

⁵² Achille Mbembe, « Emmanuel Macron a-t-il mesuré la perte d’influence de la France en Afrique ? », 2020, <https://bit.ly/2XOwce6>, consulté le 20/12/2020.

⁵³ François Gaulme, « Macron et l’Afrique : nouvelle approche pour un changement d’époque», op.cit, p. 57.

⁵⁴ François Gaulme, « Emmanuel Macron et l’Afrique: la vision et l’héritage », op.cit.

⁵⁵ حول استمرار فرنسا في دعم الأنظمة المرتشبة، أنظر :

- Georges Berghezan, « Éradiquer Boko Haram : acteurs multiples, résultat incertain », 2016, <https://bit.ly/38vcJmi> , consulté le 20/15/2019.

⁵⁶ كمثل على ذلك الدور الغامض و المثير للكثير من الجدل، هو ما يقوم به أحد أهم ركائز السياسة الفرنسية في محاربة الإرهاب في الساحل، و هو الرئيس التشادي إدريس ديبي الذي يتهم نيجيريااً بالتواطؤ مع بوكو حرام. فالأسلحة التي كانت تنزود بها بوكو حرام جاءت قبل عبور أقصى شمال الكاميرون ، من الأراضي التشادية ، فعملياً - و على عكس الكاميرون - لم يتم ضبط أية أسلحة بين عامي 2013 و 2014. بالإضافة إلى ذلك، فإن الصداقة بين الرئيس ديبي والحاكم السابق لولاية بورنو، علي مودو شريف، المعروف أنه كان من كبار المؤيدين لبوكو حرام، على الأقل في عهد رئيس نيجيريا محمد يوسفو، أشعلت أيضاً شائعة معاهدة عدم اعتداء بين نجامينا والجهاديين. و أخيراً، اعتقلت السلطات السودانية مستشاراً مقرباً للرئيس التشادي، محمد بشارة غنورتي، في الجينية، عاصمة غرب دارفور، في 17 نوفمبر 2014 ، بعد تفتيش شاحنته تم الكشف عن أنه كان ينقل إلى تشاد 19 صواريخ SAM7 المحمولة المضادة للطائرات ، تم الحصول عليها عن طريق رشوة نصف دزينة من ضباط الجيش السوداني. حول الكثير من التفاصيل حول مختلف الأدوار المشبوهة لبعض قادة دول الساحل، أنظر :

- Georges Berghezan, « Éradiquer Boko Haram : acteurs multiples, résultat incertain », *Note D'Analyse*, GRIP-Groupe de recherche et d'Information Sur la Paix et la Sécurité, 7 mars 2016, <https://bit.ly/38vcJmi> , p. 07.

⁵⁷ أنظر :

- Pérouse de Montclos, Marc-Antoine, *Une guerre perdue. La France au Sahel*, Paris : éd. JC Lattès, 2020.
- ⁵⁸ Marc-Antoine Pérouse de Montclos, « Sahel : « On a confié à l'armée française une mission impossible » », 2020, <https://bit.ly/2SNYdiP> , consulté le 20/01/2020.
- ⁵⁹ Marielle Debos, « Que fait l'armée française au Tchad ? », *Libération*, 8 février 2019, <https://bit.ly/2SMiv8d> , consulté le 29/12/2019.

⁶⁰ حول هذه الفكرة، أنظر :

- Delphine Lecoutre, «Le Tchad, un ami indispensable mais encombrant», *Manière de voir*, n° 165, «France-Afrique, domination et émancipation », juin-juillet 2019.
- ⁶¹ Marielle Debos, op.cit.
- ⁶² Ibid.
- ⁶³ Carayol, Rémi, « Les impasses de l'option sécuritaire. Sahel, les militaires évincent le Quai d'Orsay », *Le Monde Diplomatique*, juillet, 2019, p. 13.
- ⁶⁴ Ibid.
- ⁶⁵ Arthur Boutellis et autres, « La France doit rompre avec la rhétorique martiale qui prévaut au Sahel », 2018, <https://bit.ly/38tsnhX> , consulté le 12/01/2020 .
- ⁶⁶ Niagalé Bagayoko , « Sahel : « Il faut repenser la sécurité du continent selon une perspective stratégique africaine » », 2020, <https://bit.ly/37rCl2b> , consulté le 21/01/2020 .